﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ٥١﴾ [الروم: 51]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إصرارُ الكافرينَ في كُلِّ أحوالِهم على الضَّلالِ ونَفْيِ البعثِ

لَمّا كانَ تَكْرارُ مُشاهَدة مُنكري البعثِ لِلاقْتِدارِ الإلهيِّ على تصريفِ الكونِ وإحياءِ الأرضِ بعد موتِها لا يُفيدُهم عِلْمًا بِاللَّهِ تَعالى، بل يزيدُهم غيًّا وضلالًا؛ قدَّم النَّصُّ الكريم في هذه الآية دليلًا آخرَ على مدى سُخفِ هؤلاءِ وضَعفِ عقولِهم، ذلك أنَّ موقفَ هؤلاءِ المُكذِّبين المُعاندين من الأدلَّةِ الدّامغةِ على البعثِ هو التَّمادي في الضَّلالِ والكفرِ[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾: (رسل) أصْلٌ واحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقاسٌ، يَدُلُّ على الانْبِعاثِ والامْتِدادِ، فالرَّسْلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ، وجاءَ القَوْمُ أرْسالًا: يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وأصل الرِّسْلِ: الانبعاث على التّؤدة[2]، والإرْسالُ يقالُ في الإنسانِ، وفي الأشياءِ المحبوبةِ، والمكروهةِ، وقد يكونُ ذلك بالتّسْخيرِ، كإرسالِ الرّيحِ، والمطرِ، نحو: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا﴾ [الأنعام: 6]، وقد يكون ببعثِ من له اختيارٌ، نحو إرْسالِ الرّسل والملائكة، قال تعالى: ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: 61][3]، والإرْسال: التَّوْجيهُ[4]، والمراد بـ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾: بعثنا ووجّهْنا.

2) ﴿رِيحٗا﴾: (روح) أصْلٌ كَبيرٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ على سَعَةٍ وفُسْحَةٍ واطِّرادٍ، وأصْلُ ذَلِكَ كُلِّهِ الرّيحُ، وأصْلُ الياءِ في الرّيحِ الواوُ، وإنَّما

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 123.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رسل).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (رسل).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (رسل).

قُلِبَتْ ياءً لِكَسْرَةِ ما قَبْلَها[1]، والمعنى المحوري انبساطٌ أو اتساعٌ وانتشارٌ مع شمولٍ ولطفٍ مع استواءٍ أو نحوه، والرّيحُ معروفة، وهي: الهواءُ المتحرّكُ، ومادَّتُها مُتَخَلْخِلَةٌ وهي تشملُ الأرضَ وأهلَها، أو هيَ مشمولةٌ في كلِّ خلاءٍ بيننا[2]، والرّيحُ: نَسيم الهَواءِ، وكَذَلِكَ نَسيم كُلِّ شَيْءٍ[3]، وأغلبُ المواضعِ الّتي ذَكَرَ اللّه تعالى فيها إرسالَ الرّيحِ بلفظِ الواحدِ فعبارةٌ عن العذابِ، وأغلبُ المواضعِ التي ذكر فيه الريحَ بلفظِ الجمعِ فعبارةٌ عن الرّحمة[4]، والريح ههنا: ريح مخصوصة للعذاب.

3) ﴿مُصْفَرًّا﴾: (صفر) سِتَّةُ أوجُهٍ: فالأصْلُ الأوَّلُ: لَوْنٌ مِنَ الألْوانِ التي بين السواد والبياض، والثّاني: الشَّيْءُ الخالي، يُقالُ هو: صِفْرٌ، والثّالِثُ: جَوْهَرٌ مِنْ جَواهِرِ الأرْضِ يُقالُ: إنَّهُ النُّحاسُ، وقَدْ يُقالُ: الصِّفْرُ، والرّابِعُ: الصَّفيرُ لِلطّائِرِ، وقَوْلُهُمْ: ما بِها صافِرٌ مِنْ هَذا، أيْ: كَأنَّهُ يُصَوِّتُ، والخامس الزَّمانُ: وهو صَفَرٌ: اسْمُ هَذا الشَّهْرِ، والصَّفَريُّ، نَباتٌ يَكونُ في أوَّلِ الخَريفِ[5]، وربما سَمَّتِ العربُ الأسودَ أصْفَرَ[6]، والمرادُ بـ﴿مُصْفَرًّا﴾: اصفرارُ الزرعِ بعد اخضرارِه يَدلُّ على يبسِه، واصفرارُ السحابِ يدلُّ على أنَّه لا يُمطرُ، واصفرارُ الرّيحِ يدلُّ على أنَّها لا تُلقِّحُ، والضميرُ في (فرأوه) للرّيحِ أو للنَّباتِ، فالآيةُ هنُا مع ما قبْلَها تُصِّورُ تقلُّبَهم ومسارعتَهم إلى الجحودِ والكفرِ من أول شِدّة[7].

4) ﴿لَّظَلُّوا۟﴾: (ظلّ) أصْلٌ واحِدٌ، يَدُلُّ على سَتْرِ شَيْءٍ لِشَيْءٍ، وهو الَّذي يُسَمَّى الظِّلَّ، فالظِّلُّ: ظِلُّ الإنْسانِ وغَيْرِهِ، ويَكونُ بِالغَداةِ والعَشيِّ، والفَيْءُ لا يَكونُ إلّا بِالعَشيِّ، وتَقولُ: أظَلَّتْني الشَّجَرَةُ، وظِلٌّ ظَليلٌ: دائِمٌ، وأظَلَّ يَوْمُنا: دامَ ظِلُّهُ، ومِنَ البابِ قَوْلُهُمْ: ظَلَّ يَفْعَلُ كَذا، وذَلِكَ إذا فَعَلَهُ نَهارًا[8]، ولا يُقالُ ذَلِكَ إلّا في النَّهارِ لَكِنَّهُ قَدْ سُمِعَ في بَعْضِ الشِّعْرِ ظَلَّ لَيْلَه؛ ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة: 65][9]، ويجري مجرى (صار)،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (روح).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (روح).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (روح).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (روح).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صفر).
(6) الجوهري، الصحاح: (صفر).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقي: (صفر).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظلل).
(9) ابن منظور، لسان العرب: (ظلل).

من لزوم الظِّلِّ وعدم مفارقَتِه سَبَبَهُ، فظلَّ يفعلُ كذا، أي: استمرَّ وواصل[1]، وقولُه: ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ﴾، أي: استَمَرّوا على عنادِهم وضلالِهم وكفرِهم.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كفرُ المشركينَ في حالتي السَّرّاءِ والضَّرّاءِ دليلٌ على انطماسِ بصائرهم

ضربَ اللّه سبحانَه مثلًا لسَفَهِ الكفّارِ وضلالِهم، فأقسم سبحانه أنه لَئِنْ أرْسَل ريحًا حارَّةً أو باردَةً فَضَرَبَتْ زَرْعَهم بالصَّفارِ، فَرَأوهُ مُصْفَرًّا بَعْدَ خُضْرَتِه ونَضارَتِه لَيَظَلُّنَّ من بَعْدِ الإرْسالِ، أو من بَعْدِ اصْفِرارِ زَرْعِهِمْ، يَكْفُرونَ من غَيْرِ تَلَعْثُمٍ نِعْمَةَ اللّه تَعالى، وفيما ذَكَرَ من ذَمِّهِمْ بِعَدَمِ تَثَبُّتِهِمْ وسُرْعَةِ تَزَلْزُلِهم بَيْنَ طَرَفَيِ الإفْراطِ والتَّفْريطِ ما لا يَخْفى من الذم والتوبيخ، حَيْثُ كانَ الواجِبُ عليهِمْ أنْ يَتَوكَّلوا عَلى اللّه سُبْحانَهُ في كُلِّ حالٍ، ويَلْجَؤوا إلَيْهِ ﷻ بِالاسْتِغْفارِ، إذا احْتَبَسَ عَنْهُمُ المَطَرُ، ولا يَيْأسوا من رَوْحِ اللّه تَعالى، ويُبادِروا إلى الشُّكْرِ بِالطّاعَةِ، إذا أصابَهم ﷻ برَحْمَتِه، ولا يُفْرِطوا في الاسْتِبْشارِ، وأنْ يَصْبِروا عَلى بَلائِهِ تَعالى إذا اعْتَرى زَرْعَهم آفَةٌ، ولا يَكْفُروا بِنَعْمائِهِ جَلَّ شَأْنُهُ، فَعَكَسوا الأمْرَ، وأبَوْا ما يُجْديهِمْ، وأتَوْا بِما يُؤْذيهِمْ[2].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### معنى (الواو) في جملة ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا﴾:

مسارعةُ المشركين إلى معاودةِ الكفرِ لأدنى سببٍ دليلٌ على شكِّهم وقنوطِهم

جاءت الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا﴾ استئنافية؛ لتبيّن حالًا أخرى من أحوال المشركين، ويمكن أن تكون عاطفة؛ عطفتْ هذه الآيةَ على جُمْلَةِ: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ٤٩﴾ [الروم: 49] وما بَيْنَهُما اعْتِراضٌ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (ظلل).

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 65، والآلوسي، روح المعاني: 20/ 483.

واسْتِطْرادٌ، وهَذِهِ الجُمْلَةُ سيقَتْ لِلتَّنْبيهِ عَلى أنَّ الكُفْرانَ مَطْبوعٌ في نُفوسِهِمْ بِحَيْثُ يُعاوِدُهم بِأدْنى سَبَبٍ، فَهم إذا أصابَتْهُمُ النِّعْمَةُ اسْتَبْشَروا ولَمْ يَشْكُروا وإذا أصابَتْهُمُ البَأساءُ أسْرَعوا إلى الكُفْرانِ[1].

**معنى (اللام) في قوله: ﴿وَلَئِنْ﴾:**

اجتمعَ في قولِه تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ قسمٌ وشرطٌ، أما القسمُ فدلَّتْ عليه اللام؛ فهي تُؤْذِنُ بقسمٍ محذوفٍ متقدمٍ، فقد اجتمعَ القسمُ المتقدِّمُ المحذوفُ، والشَّرطُ متأخرٌ عنه، فجوابُ القسمِ هو قولُه تعالى: ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾، فاللّامُ في (لَئِنْ) موطِّئَةٌ لِلْقَسَمِ دَخَلَتْ عَلى حَرْفِ الشَّرْطِ.

اختزالُ الألفاظِ بتقديرِ الجوابِ وأداءُ المعاني على وجهِ الصَّوابِ

**معنى الفاء في قول: ﴿فَرَأَوْهُ﴾:**

يحتمل أن تكون الفاءُ في قوله تعال: ﴿فَرَأَوْهُ﴾ فَصيحَةٌ، وهي تفصح عن كلام محذوف يُمكن أن يُقدَّر كالآتي: ولئن أرسلنا ريحًا ذهب مطرها بكلّ شيءٍ زرعوه، فرأوا نباتهم قد أصابه الاصفرار، أو تكون عاطفة تفيد الترتيبَ والتعقيبَ والسرعةَ، ويختلفُ معناها على اختلافِ عودِ الضمير في ﴿فَرَأَوْهُ﴾، ففي حال عود الهاء على النبات، كما هو رأي كثير من المفسرين، فهي إشارةٌ إلى سرعة تأثير ريح الابتلاءِ في مزروعاتهم وسرعة فسادها، وإذا كان الضمير عائدًا على السَّحابِ الذي تحمله الرّيح أو إلى أثرها، ففيه دلالةٌ على تسرُّعهم وتقلُّبِهم دون تثبّتٍ.

تعجلُ الكفارِ في الحكمِ وتَسَرُّعُهُم وقلةُ تَلَبُّثِهِم وفِقْهِهم

**نكتةُ إيثار (إنْ) على (إذا) في ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا﴾:**

في قولِه تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ جاء الشرط بـ(إن) مع كونِ فعل الشرطِ ماضيًا، والقياسُ فيه أن يكونَ مضارعًا؛ لأنَّ حُصولَه يكونُ في الاستقبالِ، فيمتنعُ مُضيُّه وثبوتُه، والغرضُ من الإتيانِ بالماضي التعريضُ بذمِّهم وتوبيخِهم، ولأنَّ ريحَ العذابِ نادرةٌ

إهلاكُ زروعِ الكُفّارِ أمرٌ غيرُ متحقّقٍ بل هوَ ابتلاءٌ وامتحانٌ مشروطانِ

(1) التحرير والتنوير: 21/ 124 - 125.

الهبوبِ، على النَّقيضِ من رياحِ الرحمةِ التي هي كثيرةٌ متنوعةٌ، وقد عبّر النَّظْمُ الحكيمُ في الآيةِ الأولى بقولِه تعالى: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ﴾ [الروم: 48] عَلى طَريقَةِ الإخْبارِ عَنِ الإرْسالِ، وقالَ ههُنا: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا﴾ لا عَلى طَريقَةِ الإخْبارِ عَنِ الإرْسالِ؛ بل على طريقةِ الشرطِ، باستعمالِ أداةِ الشَّرطِ (إنْ) التي لا تقْتَضي تحقّقَ الوقوعِ، بل هي في الغالبِ لمجرَّدِ الشرطِ، على النقيضِ من (إذا) التي تستعمل في الوقوعِ المتحقّق؛ لِأنَّ الرّياحَ مِن رَحْمَتِهِ وهي مُتَواتِرَةٌ، والرّيحُ مِن عَذابِهِ، وهو تَعالى رَؤوفٌ بِالعِبادِ يُمْسِكُها[1].

### بلاغة الاستعارةِ في قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾:

التعبيرُ بالإرسالِ يفيد انقيادَ الريحِ التامِّ كانقيادِ العاقلِ المطيعِ

عبَّرَ النَّظم الحكيمُ بلفظ الإرسال عن انتقال الرّيح على وجهِ الاستعارةِ التَّصريحيَّة التَّبعيَّة في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾، حيث شبّه الانتقال بالإرسال بجامع المطاوعة، إذ إرسالُ الريّحِ هبوبُها من المكانِ الذي تهبُّ فيه إلى محلٍّ وصولها، فَشُبِّهَتْ بالعاقل المرسَلِ إلى جهة ما، ومفادُ التشبيه أن الرّيحَ مسخرةٌ في تحوّلها من جهةٍ إلى جهةٍ، والتعبيرُ بالإرسالِ يفيدُ انقيادَها التّامَّ، ومطاوعتَها مطاوعةَ العبدِ الذي يُرْسِلُه سيّدُه حيث يشاء، من غير عناءٍ لسيِّدِه، ومن غير تردّدٍ منه أن يُرْسَلَ.

### نكتةُ التعبير بالإرسالِ دونَ البعث:

اقتدارُ اللهِ سبحانه على التصرُّفِ في كافَّةِ أمورِ كونِه من دواعي الإيمان

غَلَبَ على النّظم القرآنيِّ الحكيم التعبيرُ عن هبوبِ الرّيح بـ(الإرسال) دون (البعث)، ومن ذلك قولُه سبحانه: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ إشارةً إلى الاقتدارِ الإلهي على تصريفِ الكونِ كيفما شاءَ الحقُّ سبحانَه؛ وذلكَ لأنَّ في البعث من الحثِّ والتهييجِ ما ليس في الإرسالِ، فلفظة الإرسال أشعرت بسرعة استجابة الرّيح ومطاوعتها للأمر، فاختصَّ كلٌّ من الفعلين بمواضعَ تَصْلُحُ له ولا يَصلُحُ لها مرادفُه القريبُ منه في المعنَى.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/ 130.

### لطيفةُ إسنادِ الإرسالِ إلى نون العظمة:

تفخيم أمر إرسال الريح والابتلاء به

جاء الفعلُ (أرسل) في قولِه تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مسندًا إلى ضميرِ الجمعِ، تعظيمًا من شأنِ إرسالِ الرّيح المُؤْذِنِ بالتخويفِ والترهيبِ والعذابِ، فاللّه تعالى هو الذي يتولَّى هذا الإرسال بنفسه دون أن يكله إلى غيره، تعظيمًا من شأنِ هذا الابتلاءِ والامتحانِ بالسَّرّاءِ والضَّراءِ في الإنعامِ والحرمانِ.

### دلالةُ التعبيرِ بالرّيح دونَ غيره:

الرّيحُ مُشتمِلٌ على المطرِ والرَّعدِ وهو أدلُّ على شدَّةِ الابتلاءِ

في قولِه تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ عبّرَ النَّظمُ الحكيمُ بالرّيحِ دونَ المطرِ والرعدِ وغيرِهما من أسبابِ الترهيب؛ على سبيل المجاز المرسل، حيث أطلق السَّببَ وأراد المُسبّب؛ لأنَّ منشأ المطرِ والرعدِ من الرّيح، فعبّر بالسببِ العامِّ دونِ السببِ الخاصِّ، ولأن التعبيرَ بالرّيحِ يشملُ ذلك كلَّه، بخلافِ المطرِ والرعدِ؛ فإنهما لا يشملانِ الرّيحَ بالضرورةِ، وفي ذلكَ دلالةٌ على شدَّةِ الابتلاءِ والامتحانِ بالإنعامِ والحرمانِ.

### نكتةُ تذكير ﴿رِيحًا﴾، ولطيفةُ تنكيرِه:

الإشارةُ إلى جنسِ الرّيحِ أوقعُ في العذابِ وأشدُّ في الابتلاءِ

جاء لفظُ الرّيح في قولِه تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مُذَكَّرًا، عندَ من أعادَ الضميرَ في قوله: ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ على الريح، وليسَ على النباتِ والزَّرعِ، وفي ذلكِ مخالفةٌ لمُقْتَضَى الظاهرِ، إذ الأصلُ أن يكونَ العودُ بضميرِ التأنيثِ، فيكونَ السياقُ (ولئن أرسلنا ريحًا فرأوها مصفرة)، ونكتةُ التذكيرِ هُنا الإشارةُ إلى جنسِ الريحِ نفسِها، إذ إنَّ ذلكَ أوقعُ في العذابِ وأشدُّ في الابتلاءِ، فليست الرّيحُ هنا مجردَ ريحٍ عاصفةٍ، بل إنَّ جنسَ الريحِ نفسَه هو ما أُرْسِلَ عليهم ليبتليَهم بالعذابِ والضَّرّاءِ وهلاكِ الزرعِ، بعد أن امتحنوا بالسَّرّاءِ ونماءِ الزرعِ، وأفاد تنكير ﴿رِيحًا﴾ هنا التَّعظيم والتَّفخيم لشأنها، فهي ريح عظيمة تسبَّبت لهم بالمطر الشَّديد الذي ذهب بكلِّ شيء قد زرعوه.

### دلالةُ التعبير بالإفراد دون الجمع في ﴿رِيحًا﴾:

إفرادُ لفظِ الرّيحِ للدّلالةِ على العذابِ

عبّر النَّظمُ الحكيمُ في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ بلفظ (الرّيح) مفردةً، والغالبُ على النَّظم القرآنيِّ في المواضعِ الّتي ذَكَرَ اللّهُ تعالى فيها إرسالَ الرّيحِ بلفظِ الواحدِ أنَ تكونَ للعذاب، وأغلبُ المواضعِ الَّتي ذَكَرَ فيها الرياحَ بلفظِ الجمعِ أن تكونَ للرحمةِ[1]، وقد ذهب العلماء إلى تخصيصِ إفرادِ لفظِ الرّيحِ للعذابِ، وجمعِ الرّياحِ للرحمةِ لِوُجوهٍ، **أحَدُها**: أن الرياحَ النّافِعَةَ كَثيرَةُ الأنْواعِ كَثيرَةُ الأفْرادِ فَجَمَعَها، فَإنَّ كُلَّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ تَهُبُّ نَفَحاتٌ مِنَ الرّياحِ النّافِعَةِ، ولا تَهُبُّ الرّيحُ الضّارَّةُ في أعْوامٍ، بَلِ الضّارَّةُ في الغالِبِ لا تَهُبُّ في الدُّهورِ، **والثّاني**: هو أنَّ النّافِعَةَ لا تَكونُ إلّا رياحًا، فَإنَّ ما يَهُبُّ مَرَّةً واحِدَةً لا يُصْلِحُ الهَواءَ ولا يُنْشِئُ السَّحابَ ولا يُجْرِيَ السُّفُنَ، وأمّا الضّارَّةُ بِنَفْحَةٍ واحِدَةٍ تَقْتُلُ كَريحِ السَّمومِ، والثّالِثُ: هو أنَّ الرّيحَ المُضِرَّةَ إمّا أنْ تَضُرَّ بِكَيْفِيَّتِها أو بِكَمِّيَّتِها[2].

إفرادُ الرّيحِ للدّلالةِ على التخصيصِ بقومٍ بعينهم

وثمَّة رأيٌ آخرُ جديرٌ بالاعتبارِ، وهو أنَّ التَّتبُّعَ الدَّقيقَ لكلمتي (الرّياح) و(الرّيح) في القرآنِ الكريمِ في قراءاته المتواترةِ لا يرجِّحُ التفسيرَ السابقَ المشهورَ، بل يشيرُ إلى أنَّ (الريح) و(الرياح) مجموعةً ومفردةً آية من آياتِ اللّهِ تعالى في إفادةِ الموجوداتِ، في علاقتِها بالسحابِ، والأمطارِ، وإنباتِ الزّرعِ، وقد يكونُ بالتَّدبُّرِ في علاقةِ إحياءِ الأرض والزرع بالحياة والموت، والبعث والنشورِ، وقد يكونُ بتوجيهِ الأنظارِ إلى فعلِها في تسيير السفنِ، وكلُّ هذه أمورٌ عامةٌ للمخلوقاتِ جميعًا، فهي بذلك لا تختصُّ قومًا أو مكانًا أو فردًا أو زمانًا، فهي واردةٌ بلفظِ الجمعِ لذلك، ولكنّها إن وردتْ في سياقٍ معنويٍّ آخرَ يتركَّز على عقاب بعض الأقوام في أزمانٍ مختلفةٍ،

(1) الراغب، مفردات القرآن، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (روح).
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/ 131.

أو في إفادةِ بعضِهم إفادةً خاصةً بهم في أزمانٍ مختلفةٍ، فحينئذٍ لا تكونُ عامةً، فلا تأتي في صيغةِ الجمع؛ لأنَّها أثناء استخدامها تكونُ مختصّةً بقومٍ مُعَيَّنين، في زمانٍ معينٍ، ومكانٍ معينٍ، وكذلكم عندما تُستخدم في الإفاداتِ الخاصةِ، فتكونُ لذلك مختصّةً لفظيًّا ودلاليًّا، ويتلاءمُ مع هذا السياقِ ورودها في صيغةِ المفردِ، ومن ثَمَّ يمكنُ القولُ إنَّ ورودَ لفظِ الريِّحِ في صيغةِ الجمعِ في القرآن الكريم يكونُ للدّلالةِ على أنَّها آيةٌ من آياتِ اللّه تعالى، تدعو إلى التَّدبُّرِ لليقين بالبعث والنشور، ولشكر اللّه تعالى على نعمه، ووردها بصيغة الإفراد لتكون خاصة بقومٍ دونَ أقوامٍ، أو بفردٍ دون أفرادٍ، أو بزمانٍ معينٍ ومكانٍ معينٍ[1].

### نكتةُ التعبيرِ بالماضي في ﴿فَرَأَوْهُ﴾:

عبّر النظم الحكيم بفعل الرؤية في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾؛ لأنَّ من معاني الرُّؤْيَة: إدراكَ المَرْئيِّ بالحاسّة وما يجري مجراها، كما أنَّ من معانيها إدراكَ المرئيِّ بالوهم والتّخيّل، فكأنَّ الكفارَ لشدَّة يأسِهم من رحمة اللّه ولتعجُّلِهم وتقلّبِ نفوسِهم في الشكِّ يبادرون إلى تخيّلِ العذابِ بسبب سوءِ اعتقادهم في اللّهِ ﷻ، وجاءَ الفعلُ في الماضي مبنيًّا على الضم المُقَدَّرِ على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، وهو في محل جزم، عطفًا على ﴿أَرْسَلْنَا﴾[2]؛ لأنَّ وقوعَه في سياقِ الشَّرْطِ يَمْحضُه للاستقبالِ، فَأوثِرَتْ صيغةُ المُضيِّ لِأنَّها أخفُّ، والمُتكلِّمُ مُخيَّر في اجْتِلابِ أيِّ الصّيغَتَيْنِ مَعَ الشَّرْطِ[3].

**سـوءُ اعتـقـادِ الكفارِ دافعٌ لهم لسرعة التشاؤُم وتخيّلِ العذابِ والابتلاءِ**

### نكتةُ إسنادِ الرؤيةِ إلى ضميرِ الجماعة:

جاء الفعلُ ﴿فَرَأَوْهُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ

**اجتماعُ الكفارِ على سرعةِ تبدّلِ الأحوالِ أثرٌ من آثارِ اجتماعهم على الشرك**

(1) إبراهيم بركات، الريح والرياح في القرآن، ص: 483.
(2) الخطيب وآخرون، التفصيل في إعراب آيات التنزيل: 21/ 112.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 125.

﴿مُصۡفَرّٗا﴾ مُسندًا إلى ضميرِ الجمع، للتعبير عن اجتماعِهم على سرعةِ التغيُّرِ والتنكّرِ لِنِعَمِ الله دون تلبّثٍ أو تمهّلٍ، وهو أثرٌ من آثار اجتماعِهم على الكفرِ والتكذيبِ بالله واليوم والآخر وقضية البعث، فلما كانوا جماعةً يُزَيِّنُ بعضُهم لبعضٍ الكفر، كانوا كذلك جماعةً في سرعةِ تقلُّبِهم وقلَّةِ صبرِهم على البلاءِ.

### مرجعُ ضميرِ المفعولِ في ﴿فَرَأَوۡهُ﴾:

من بلاغةِ الإعجازِ القرآنيّ عودُ الضميرِ على وجوهٍ صالحةٍ متعددةٍ

الضَّميرُ في قوله سبحانه: ﴿فَرَأَوۡهُ﴾ عائدٌ عَلى ما يُفْهَمُ مِن سياقِ الكَلامِ، وهو النَّباتُ، وقال بعضهم: إلى الأثَرِ؛ لِأنَّ الرَّحْمَةَ هي الغَيْثُ، وأثَرُها هو النَّباتُ، وقالَ آخر: الضَّميرُ في ﴿فَرَأَوۡهُ﴾ عائدٌ عَلى السَّحابِ؛ لِأنَّ السَّحابَ إذا اصفَرَّ لَمْ يُمطِر؛ وقال بعضهم: عَلى الرّيحِ، وهَذانِ قَوْلانِ ضَعيفانِ عند أبي حيانَ وغيرِه[1]، والراجحُ أن الضَّميرَ المَنصوبَ في ﴿فَرَأَوۡهُ﴾ عائدٌ إلى ﴿ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: 50] وهو الزَّرْعُ والكَلَأُ والشَّجَرُ[2]، ورُغم ذلك فإن اختلافَ عودِ الضمير وتعدد المعاني التي يشير إليها دليلٌ باهرٌ على إعجازِ القرآن الكريم وشمولِه كثيرًا من الأوجُهِ الصّالحةِ الَّتي تتعاضدُ ولا تَتَعانَدُ.

### نكتةُ تخصيصِ اللونِ الأصفرِ بالذِّكرِ:

جاءَ اللونُ الأصفرُ في هذا السياق مُعبِّرًا عن السُّقم ودليلًا على الابتلاء

وصفَ النَّظم الحكيم الأثر الذي تُحدثه الريح في النبات بقوله تعالى: ﴿مُصۡفَرّٗا﴾، والاصْفِرارُ في الزَّرْعِ ونَحْوِهِ مُؤْذِنٌ بيُبْسِه، وقد جاءَ توظيفُ اللَّونِ الأصفرِ حِسّيًّا، من حيثُ وصفُ تحوُّلِ النبات الأخضر بعدما تصيبُه الريحُ، وفيه دلالةٌ معنويَّةٌ على الشحوبِ والمرضِ وغيرها من دلالاتِ السُّقْمِ والابتلاءِ[3].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 17/ 200.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 125.
(3) خمقاني فائزة، دلالات اللون الأصفر في القرآن، ص: 89.

### معنى اللّام في قوله: ﴿لَّظَلُّواْ﴾:

اللّامُ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿لَّظَلُّواْ﴾ لامُ جَوابِ القَسَمِ؛ أي: وباللَّهِ لَئِنْ أرْسَلْنا ريحًا حارَّةً أو بارِدَةً فَضَرَبَتْ زَرْعَهم بِالصَّفارِ فَرَأوهُ مُصْفَرًّا لَيَظَلُّنَّ كافرينَ[1]، فأفاد دخول اللام ههنا توكيد كفرهم وشركهم وعنادهم، رغم وضوح الآيات الدالة على البعث واقتداره سبحانَه على التَّصرُّفِ في مقاليدِ الكونِ.

اللّام رابطةٌ لجواب القسم وتفيد التّوكيد

### دلالةُ التعبير بـ(ظلّ) مادةً وصيغةً:

الأصلُ أن يُستعمل (ظلَّ) لإفادةِ الحكمِ في النَّهار، وقد يخرجُ عن هذا الأصل فيُستعمل استعمال (كان) و(صار) مع قطع النظر عن الأوقات الخاصَّة، وقد وردت (ظلَّ) في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، ليس فيها موضعٌ واحدٌ تَخَصَّصَ الفعلُ فيه بالنهار، ما يدلُّ على أنَّ هذا الأصلَ قليلُ الاستعمالِ جدًا[2]، ولَعَلَّهُ عَبَّرَ بِالظُّلولِ لِأنَّ مُدَّةَ النَّوْمِ لا تَجْديدَ فيها لِلْكُفْرِ[3]، وقد جاء الفعل ﴿لَّظَلُّواْ﴾ في صيغة الماضي بِمَعْنى المُستقبل، وعُلِّلَ ذَلِكَ بِأنَّهُ في المَعْنى جَوابُ (إنْ)، وهو لا يَكونُ إلّا مُسْتقبلًا، كما أوثِرَت صيغَةُ المُضيِّ لِأنَّها أخَفُّ[4]، وأشار القرطبيُّ إلى حُسن وقوع الماضي في مَوْضِعِ المُسْتَقْبَلِ لِما في الكَلامِ مِن مَعنَى المُجازاةِ، والمُجازاةُ لا تَكونُ إلّا بِالمُستَقبَلِ[5]، وذهب البقاعيُّ إلى أنَّ التعبيرَ بِالماضي مَوْضِعَ المُستَقبَلِ نَحْوُ (ليَظَلَّنَّ) (واللَّهِ) تَأكيدٌ لِتَحقيقِهِ[6]، وأُسندَ الفعلُ لضميرِ الجمعِ للدلالةِ على اجتماعِهم على كفرانِ النِّعمةِ وإصرارِهم على ذلك فيما يُشبهُ التَّحديَ والعصيانَ.

استحقاق الكفّار المجازاة في الآخرةِ بسبب تماديهم في غيّهم

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 586، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 65، والآلوسي، روح المعاني: 20/ 483.

(2) فاضل السامرائي، معاني النحو: 1/ 236.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 123.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 125.

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 449.

(6) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 123.

### معنى ﴿مِنۢ﴾ في القيد ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾:

تجديدُ الكفرانِ والجحودِ بعد هلاكِ الزّورعِ والثِّمارِ

أفادَ حرفُ الجرِّ ﴿مِنۢ﴾ في قولِه تعالى: ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ﴾ ابتداءَ الغايةِ الزمانيَّةِ، أي: ابتداءَ تجديدِهم للكُفرانِ والجحودِ بعد هلاكِ الزّورعِ والثِّمار مرةً تلو مرةٍ، بسبب إنكارهم لقضايا البعث والآخرة، وذهب البِقاعيُّ إلى أن ﴿مِنۢ﴾ هنا للتَّبْعيض[1].

### دلالةُ التعبيرِ بالبعدية في ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾:

تقريعُ الكفار والتشنيعُ عليهم بسببِ مسارعتِهم إلى الكفرانِ والجُحودِ

الضميرُ في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ يعود على الاصفرار، أيْ: من بَعد اصْفِرارِ الزروع وهلاكها[2]، وفي زيادةِ الظَّرفِ دلالةٌ على زيادةِ تقريعِهم والتشنيعِ عليهم بتسرُّعِهم وتقلُّبِ أحوالِهم، وعجلتهم في الضلال والفساد، وكان الأحْرَى بهم أن يشكروا نعمةَ اللهِ إذا أنعمَ بها عليهم، وأن يصبِروا على فقدانِها إذا ابتلاهم بفقْدها، ولكنَّ سوءَ اعتقادِهم حال دونَ تحلّيهم بخصالِ التَّوكُّلِ على اللّه، بسبب يَأسِهِمْ من رَوحِ اللَّهِ وجُحودِهم لِما أسلَفَ إلَيهِم مِنَ النِّعَمِ بَعدَ ما تَكَرَّرَ مِن تَعَرُّفِهِ سُبْحانَهُ إلَيْهِمْ بِالإحْسانِ[3].

### دلالةُ اختيارِ مفردةِ الكفرِ:

استمرارُ المشركينَ على كفرِهم وجحودِهم من أماراتِ فسادِهم وضلالِهم

عبَّرَ النَّظمُ الحكيمُ عن جحودِ الكفّار لنعم الله باستعمالِ مفردة الكفرِ بقوله تعالى: ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ﴾، والإتْيانُ بِفعلِ التَّصييرِ ﴿لَّظَلُّواْ﴾ مَعَ الإخْبارِ عَنْهُ بِالمُضارِعِ إنَّما هولِتَصْويرِ مُبادَرَتِهِمْ إلى الكُفْرِ ثُمَّ اسْتِمْرارِهِمْ عليه، والحاصِلُ أنَّ المَعْنى أنَّهُ يَغْلِبُ الكُفْرُ عَلى أحْوالِهِمْ[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 123.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 123.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 123.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 125.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### الإرسال والبعث:

في الإرسالِ أناةٌ وهدوءٌ وفي البعثِ حثٌّ وتهييجٌ

ثمَّة فروقٌ دقيقةٌ بين الإرسال والبعث بصفة عامة، فالإرسال يكون بإرسال شيء جديد؛ أي: برسالةٍ جديدةٍ، أو منهجٍ جديدٍ، أو تغيُّرٍ، أو تعديلٍ في المنهج السابق، حسب الزمان والمكان، والإرسال: لا يصاحبه إثارةٌ ولا تهييجٌ، ولا حثٌّ كما في البعث، والإرسالُ: من مكانٍ إلى مكانٍ، أو إلى مكانٍ جديدٍ، كما أنَّ الإرسالَ أقلُّ شدةً وقوةً ومشقةً مقارنةً بالبعث، أما البعثُ: فهو إحياءُ منهجٍ كان موجودًا سابقًا، وغفلَ عنه النّاس، فإذا أراد الله تعالى إحياء نفس المنهج، الذي غفل عنه النّاس، بعث الله رسولًا أو نبيًّا لإحياءِ معالم ذلك المنهجِ السابقِ، الذي اندثر؛ أي: باختصارٍ بعثُ شيءٍ قديمٍ، وليس هناك من جديد، كما أنَّ البعثَ يصاحبُهُ إثارةٌ، وحضٌّ، وتهييجٌ على القيام بالعمل وحث عليه، وفيه شدة، ومشقة، وقوة، وعمل؛ أشد من الإرسال[1]، ومن خلال تأمل هذه الفروق يتضحُ أن التعبيرَ بالإرسالِ في الآية الكريمة أليقُ بالسّياق، إذ إنَّ إرسالَ الرّيحِ إنَّما هو لتغيير حالِ هؤلاءِ المكذِّبينَ منَ الرَّخاءِ والنَّعيمِ إلى العذابِ والهلاكِ.

### الرؤيةُ والمشاهدةُ:

المشاهدةُ تتطلَّبُ التَّأملَ والتَّدبرَ على خلافِ الرُّؤيةِ التي قد تكونُ عَرَضيَّةً عابرةً

الرُّؤْيَةُ: إدراك المَرْئيُّ، وذلك أضربٌ بحسبِ قوى النَّفْسِ: الأوّلُ: بالحاسّة وما يَجْري مَجراها، والثاني: بالوهمِ والتّخيُّلِ، والثالثُ: بالتّفكّر، والرابعُ: بالعقلِ، ورَأى إذا عُدّيَ إلى مفعولينِ اقتضى معنَى العِلمَ، والرُّؤيةُ قد تكونُ عَرَضيَّةً وقد تكون واعيةً، أمّا المُشاهدةُ فتأتي من (شاهَدَ)، ويقصدُ بها المعاينةُ، وهي تدلُّ على الإدراكِ البصريِّ المباشرِ، أي: رؤية شيء مع التدبر والتأمل والأناة، وغالبًا

(1) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 1/ 221 - 222.

ما تكون في سياق معين أو في وقت محدد، وهي تتطلب حضورًا فعليًا وانتباهًا مباشرًا وتأملًا واعيًا[1].

### ظلّ ولبث:

اللُّبثُ مرتبطٌ بالإقامة في المكان أما الظُّلولُ فمرتبطٌ بالفعلِ وحدَه

ظَلَّ يَفعَلُ كَذا، وذَلِكَ إذا فَعَلَهُ نَهارًا، ويجري مجرى (صار)، من لزوم الظل وعدم مفارقته سببه، فظل يفعل كذا، أي: استمرَّ وواصل، كقوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة: 65]، وقوله: ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾، وأما اللُّبث فهو الإقامةُ بالمكان، وقيل: اللُّبث: الإقامةُ الطويلةُ، فهي أخصُّ من الإقامةِ، فكل لُبثٍ إقامةٌ، وليست كلُّ إقامةٍ لبثًا[2]، ولارتباط الظُّلولِ بالفعل وحده دون اللُّبثِ فقد جاءَ النَّظمُ الكريم باستعمالِ (ظلّوا) دونَ (لبِثوا).

(1) الراغب، مفردات القرآن، وابن منظور، لسان العرب: (رأى) و(شهد).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (ظلل)، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (لبث).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»